المفارقة في شعر احمد جارالله ياسين
(الى... برقيات وصلت متأخرة) أنموذجا
Paradox in Ahmed Jarallah Yassin's poetry
(To ... telegrams that arrived late) as an example

أ. د. **سوسن البياتي**، جامعة تكريت، كلية الآداب،

تاريخ الاستلام2025/5/1 تاريخ القبول: 2025/6/1 تاريخ النشر: 2025/6/15

ملخص:

تستند المفارقة الشعرية الى ما يسمى باختلاف المواقف والاقوال، بين قطبين متعارضين يشير احدهما الى معنى ، ويحتمل الآخر معنى مغايرا له .

لذا حاولت الدراسة ان تركز طريقة اشتغال هذا المصطلح ودلالاته في شعر الشاعر احمد ياسين جارالله في مجموعته الشعرية: برقيات وصلت متأخرة ، هذه المجموعة التي استطاعت ان تؤسس لبنية المفارقة والتعبير عن السخرية المرة واللاذعة للإنسان العراقي في وطن اصبح مكانا منحرفا عن دلالاته الحقيقية.

وقد تمت الاشارة الى العديد من التعريفات التي وضعها النقاد والدارسون لهذا المصطلح، معرجين بعد ذلك الى قراءة النصوص الشعرية استنادا الى لعبة المفارقة التي تجلت فيها بوضوح .

كلمات مفتاحية: المفارقة، الشعر الحديث، الادب الحديث.

Abstract:

Poetic irony is based on what is called the difference in attitudes and statements, between two opposing poles, one of which refers to a meaning, and the other has a different meaning.

Therefore, the study tried to focus on the way this term works and its connotations in the poetry of poet Ahmed Yassin Jarallah in his poetry collection: This collection, which was able to establish the structure of irony and express the bitter and biting sarcasm of the Iraqi man in a homeland that has become a place deviated from its true connotations.

Critics and scholars have referred to several definitions of this term, and then went on to read the poetic texts based on the game of irony that was clearly manifested in them.

Keywords: Paradox, modern poetry, modern literature.

- المفارقة في المنظور اللغوي والاصطلاحي:

تشير الدلالة اللغوية لمفهوم المفارقة إلى المباينة، فرق الشيء مفارقة وفراقا: باينه، مأخوذة من الجذر الثلاثي" فرق"، بفتح الفاء والراء والقاف، ومصدرها فَرْقا، والفرق: الفصل بين الشيئين، والفرق في اللغة خلاف الجمع، فرَّقه يفرِّقه فَرْقا، وفارق الشيء مفارقة وفراقا :باينه، والمِفرَق وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر، وفَرق له الطريق أي اتجاه له طريقان، والفاروق :ما فرق بين شيئين، ورجل فاروق: ما بين الحق والباطل، والفاروق لقب الخليفة عمر بن الخطابﷺ سُميَّ به، لتفريقه بين الحق والباطل .

والفرق خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقا، والتفرّق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرّق للأبدان والافتراق في الكلام، يقال فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرّقا... والاسم الفرقة[1].

نستخلص من كل ذلك الى أن الدلالة اللغوية لمفردة المفارقة تشير الى: التباعد والاختلاف والتنافر والتضاد.

اما اصطلاحا فقد تعددت الدلالات الاصطلاحية لهذا المفهوم وتنوعت واختلفت الا أنها كلها تصب في مجال واحد يؤكد على تحقيق نوع من التناقض الظاهري بين القول والفعل، والتضاد الفعلي بينهما سواء كان ذلك بطريقة مباشرة ام غير مباشرة، فالمفارقة هي ((رأي غريب مفاجئ يعبر عن رغبة صاحبه في الظهور وذلك بمخالفة موقف الآخرين وصدمهم في مايسلمون به.)) [2]، وهي ((الصورة التي تنطوي على عنصرين متعارضين يتداخل تعارضهما مُشكّلاً دلالة تنطوي على المفارقة))[3].

ولقد كانت للنقاد والدارسين اراء ودراسات ومقتطفات حول مصطلح المفارقة، هذا المصطلح الذي نشأ فلسفيا على يد ايمانول كانت فقد رأى ان المفكر عاجز امام الواقع او التجربة الفعلية ، فهو في منظوره الفلسفي واللامعقول له مطلق الحرية والسلطة ، اما عالمه الفعلي فهو لايستطيع التدخل او التأثير لانه ببساطة هو انسان مقيد، فاقد لحريته، وقد فتح المجال واسعا بفلسفته للبحث في جذور المفارقة مما ادى الى شيوع المصطلح لاسيما في الادب والنقد الحديث، وسنحاول ان نقف عند بعض هذه المفاهيم والآراء ورؤية النقد العربي له.

فقد عرفتها سيزا قاسم بأنها: ((استراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني،

ولكنه تعريف غير مباشر يقوم على التورية، والمفارقة هي طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة .فالمفارقة في كثير من الأحيان تراوغ الرقابة بأنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولا مغايرا له.

وتستخدم المفارقة في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع، وتستهلك الحجج، ويخفق النقد الموضوعي؛ فعندئذ تظل المفارقة هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار .والمفارقة لعبة عقلية من أرق أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا، تستخدم لقتل العاطفة المفرطة وللقضاء على المظهر الزائف، ولفضح التضخيم الفكري))[4].

فسيزا قاسم ترى أن المفارقة لعبة ذكية بين صانعها وقارئها، على الرغم من أنها تحمل في طياتها موقفا عدواني يستند على المراوغة والتخفي، فالمفارقة تحمل في ظاهرها موقفا معينا وتخفي موقفا آخر غير معلن، فهي أشبه بالتورية في البلاغة العربية، على أن هذه اللعبة فيها الكثير من الاحباط واللامبالاة وخيبة امل ذلك لأن السخرية المرة هي النتيجة الحتمية لهذه المفارقة كما تشير إليه بقولها: ((إن المفارقة استراتيجية إحباط ولامبالاة وخيبة أمل تنطوي على جانب إيجابي سلاحها الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد))[5].

وتشير نبيلة ابراهيم الى أنها: ((كلام يستخلص منه المعنى الثاني الخفي من المعنى الأول السطحي.)) [6]، فهي ((انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع.))[7]، بمعنى انها خروج لغوي عن المألوف، تحتمل دلالات متعددة، تدفع بالقارئ الى تأويلات شتى، لذا فهي على وفق هذا المنظور تشكل نمطا من التعبير اللغوي الذي يسمح بخلل ادائي في المنظومة الاتصالية بين المخاطَب والمخاطَب، فهي ((صيغة من التعبير، تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع بمعنى ان المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يكمن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فانه يدرك ان هذا المنطوق في هذا السياق-بالذات- لايصلح معه ان يؤخذ على قيمته السطحية.))[8]، وقد لخّص الدكتور حسن عبد الجليل يوسف رؤيته الشاملة للمفارقة بقوله إن((المفارقة هي جوهر الحياة ، وتقوم على إدراك حقيقة أنّ العالم من جوهره ينطوي على تضادّ، وانتهى إلى أنّ المفارقة نظرة إلى الحياة تدرك أن الخبرة عرضة إلى تفسيرات شتّى لا يكون واحدا منها هو الصّحي، وتدرك أن وجود التّنافرات معا ، جز من بنية الوجود.)) [9]، أما الدكتور قيس حمزة الخفاجي فيرى أنها: ((بنيةٌ تعبيرية وتصويرية، متنوعة التجليات، ومتميزة العدول على المستويات الإيقاعية والدلالية والتركيبية، تستعمل بوصفها أسلوباً تقنياً ووسيلة أسلوبية لمنح المتلقي التلذذ الأدبي ولتعميق حسّه الشعري، بوساطة الكشف عن علاقة التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة الحاضرة أو الغائبة والرؤية الخاصة المبدعة)) [10].

فثمة موقف يخالف فيه احدهم مواقف الآخرين وأفكارهم، بمعنى آخر أن ثمة انحراف في اللغة التي يستخدمها الشاعر عن لغة الآخرين فيما يخص موقفا معينا بعينه، ففي الوقت لذي ينظر إليه الآخرون على انه طبيعي، فان الشاعر بدفقه اللغوي وبنسيجه الشعري يلجأ الى تغيير في طبيعة الموقف

نفسه ويشرعها على مايمكن أن نسميها بالصدمة الموقفية، فنحن إزاء موقف طبيعي لكن تدخل الشاعر ونجاحه في تغيير هذا الموقف الطبيعي إلى اللاطبيعي، واخضاعه لرؤية الشاعر القسرية في اختلاف بين وجهات النظر، هو الذي يشكل لدينا المفارقة التي ((تكمن دائما في ذلك الاحتدام والتصادم بين ماناراه من منظورنا طبيعيا ومسلما به ولانلبث – ومن خلال الاحتكاك به- أن نفاجأ بتناقضه مع ما نراه، وأحيانا تتمثل المفارقة في تلك المنطقة من الحسم بين الرغبة لشئ وماتفضيه من واقع حرماني لحظة الاقتراب .)) [11].

على أن إحداث هذا الخلل الشعري- إن كنا نسمي المفارقة خللا لأنها تكسر القوالب الطبيعية المتعارف عليها- لا يتأتي بتلك السهولة التي يحسبها الكثيرون فثمة مهارة لابد من أن يمتلكها الشاعر وثمة صياغة لغوية لابد لها أن تستجيب لشروط المفارقة، وثمة – أخيرا- قدرة تمكن الشاعر وتؤهله للدخول في هذه اللعبة اللغوية باختراق الطبيعي والمألوف وتحويلها إلى النقيض، من هنا تحديدا ((تتشكل شعرية المفارقة من خلال تكشّف قدرة الشاعر عن طاقة تعبير شعرية تكتنز بروح خصبة وثرية قائمة على التركيز والدقة والمفاجأة في آن معا، على النحو الذي تنجح في تغيير مسار أفق التوقع والتلاعب به بما ينسجم وتحقيق انحراف جميل قادر على التشعير والإدهاش.)) [12]، وهذه القدرة والطاقة الشعرية لابد لها من نقطة انطلاق تبدأ بها المفارقة وهي ((نقطة فضاء النفس المفتوحة بمضادة المرجعية العامة، فالنفس تحمل إرثا يختط طريقا خاصا يكشف بدوره عن قوة المرجعية او ضعفها.)) [13].

وإذا كانت المفارقة ((تعبير بلاغي، يرتكز أساسا على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على

العلاقة النغمية او التشكيلية. وهي لاتنبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات، فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي، ولكنها أساسا تصدر عن ذهن متوقد، ووعي شديد للذات بما حولها.)) [14]، فإنها لكي تحقق معادلتها اللغوية لابد لها من أن ((تقول شيئا وتقصد شيئا آخر، بالأصالة المرنة إلى الموقف والظروف المحيطة بعملية التواصل اللغوي خارج النص. عندئذ لايمكن الاكتفاء بالمعنى الحرفي وتصديقه بشكل مباشر... فهي إذن تنفيس عن ذكاء الإنسان وتعبير عن قدرته على رفض ما يقال له ونقده وتأويله حتى يتسق مالديه من وعي ومعلومات.))[15]، ولابد لها – ايضا- من أن تحقق الغاية المرجوة منها والهدف الذي يبتغيه الشاعر منها؛ فالمفارقة ليست مجرد صياغة لغوية وانشطار لفظي بين مايقوله الشاعر ويقصده بل لابد لها من أن ((تتصل في إطارها العميق بتجربة الانسان الوجودية أكثر من اتصالها بالمتناقضات اللفظية، والحيل الأسلوبية والسخرية التي تتصل بالسلوك اليومي.)) [16]، ولكي يتحقق هذا الهدف فلابد للعمل الفني من أن ((يترجم الإحساس الى شئ مجسم، أي أن العمل الفني لاينقل الإحساس كما هو بل يعادله.)) [17]، وأن ((يحمّل الشاعر الحديث تقنية المفارقة- كإحدى آلياته في التعبير- رؤيته لكثير من القضايا والمواقف، لما للمفارقة من قدرة على إظهار دلالة والتعريض بأخرى...))[18]، وكل هذا

لايمكن أن يتوقف رغبة المتلقي وموهبته بل على الهدف الاساس الذي من اجله تشكل النص، وعلى الرغم من ان المفارقة تختلف في المقاصد والدلالات والاساليب استنادا الى انماطها واشكالها، فإنها ((حينما تصير رؤية عالم فان حدس القارئ يكون قطبا اساسيا في غلق دائرة التواصل على اعتبار مالايستلزمه الموقف او حدوث مالايتوقع سمتا ابداعيا خالصا من اليات الابداع المعاصر التي تحقق هذه الرؤية.))[19].

وسنجد ان الشعر العربي الحديث ملئ بالمفارقات ، اذ انها تتجسد في أنماط متعددة استنادا الى الموضوع الذي يتم طرحه والفكرة المستقاة منها فضلا عن اساليبها واشكالها، وتأثير كل ذلك سلبا او ايجابا في المتلقي، ولعل المفارقة اللفظية والمكانية والزمانية أبرز أشكالها وصورها وسنحاول ان نستقرئ بعضا منها استنادا الى النصوص المتوافرة .

ولابد من الاشارة إلى تداخل هذه الأنماط بعضها مع البعض الآخر في بعض النصوص، لاسيما المكانية والزمانية، اذ انهما يشكلان وحدة لاتنفصل أجزاؤها.

- المفارقة في شعر احمد جارالله ياسين: قراءة اولية:

أشار ميوميك في تعريفه للمفارقة إلى أنها ((موقف او حدث، ليس فيه صاحب مفارقة بل ثمة دوما ضحية ومراقب، وتدعى عادة مفارقة موقف غير مقصودة او غير واعية.))[20]، ومثل هذا التعريف لابد النظر إليه على قدر كبير من الأهمية ، فنحن في قصائد جارالله لا نجد شخصيات حكائية متألهة – نسبة الى الآلهة- ولن نجد شخصيات بطولية خارقة ولا شخصيات على قدر كبير من الرفاه والاستقرار بل أننا أمام شخصيات متأزمة/ مسحوقة تمثل دوما دور الضحية او الانهزامي أو المستسلم وقد يبدو عليه مراقبا ومشاركا وعلى قدر كبير من الغفلة والبساطة والسذاجة، ونظرة فاحصة لقصائده وشخصياته ستوضح الأبعاد الفكرية والثقافية لها، بين عاشق صوفي متورط بعشق وطن يرشق أبناءه دوما بالجراحات او شاعر يقف على باب المحاسب لاستلام حفنة من الأوراق والأحزان بدلا من الدنانير أو رجل تركته حبيبته على قارعة الطريق بعد أن أخذت كل مايهمها وتركته لئلا يثقل حملها وغيرها من المفارقات التي تسجل لشاعرها قدرا من الشاعرية الفذة التي تؤهله لأن يكون شاعر المفارقات بامتياز.

ولابد من التأكيد ثانية أننا أمام شخصيات محددة باسم كـ(نصيف) او محددة بسمة تشي بقرابة ما إلى الشاعر كـ(جدي) أو (أمي) أو ربما يكون الشاعر نفسه، مما يدلل على أن هذه التسميات مقصودة لغايات فنية ودلالية بالدرجة الأولى لأننا أمام مفارقات تخضع لأفعال الشخصيات لذا فإن الشرط الأساسي فيها أن تكون الشخصيات معروفة، والتسمية هي التي تمنح الشخصية هويتها الحكائية داخل

الحدث او الموقف الشعري، ولابد للأسماء من أن تكون – هي الأخرى – على قدر كاف من المفارقة لترتبط بالحدث الذي تتم سياقته داخل النص الشعري.

وإذا كنا ننظر الى العلاقة بين الشاعر وبين مايكتب على أنها علاقة جدلية لاتسير على وتيرة واحدة بل تقوم

على ساس ودعائم ثابتة مرتكزها الأساس أن الانسان يكتب تعبيرا عن ذاته أولا، وتنفيسا عن رغباته الدفينة ثانيا، لذا فان العلاقة بين الشاعر والكتابة تنطلق من التجربة ذلك أن ((الارتباط لايتم بين الانسان الذي في الشاعر والقضية التي اختارها؛ وإنما بين الشاعر الذي في الانسان والقضية التي استلهمها))[21] وهذه القضية هي التجربة التي عاشها الانسان/ الشاعر.

اولا: مفارقة العنوان.

ينتمي هذا النوع من المفارقات الى مايسمى بالمفارقات اللفظية التي هي انقلاب في الدلالة على حدِّ تعبير ميويك[22]، فثمة معنى ظاهري وآخر باطني، يكون احدهما نقيضا للآخر، ولابد من وجود علاقة او قرينة تثير انتباه القارئ وتوجهه مع الاخذ بنظر الاعتبار ان يكون المعنى الخفي هو المعنى الضد[23].

بدءا من العنوان تشتغل المفارقة اشتغالا حيويا وفاعلا، فالمعروف ان البرقيات عبارة عن رسائل قصيرة تصل الى المرسل اليه بسرعة، فالبرقية رسالة ترسل من مكان الى مكان بوساطة جهاز يسمى التلغراف، مضمونها يقوم على تبادل التهاني او التعازي بين الآخرين ، فهي اذن رسائل قصيرة يُفترض فيها ان تصل بأقصى سرعة، ووسومها بالوصول المتأخر دلالة على احداث خلل في الاستلام، او لنقل مفارقة تعمد الشاعر اللجوء اليها، فنحن امام عنوان قائم على شبه جملة ناقصة مجرورها محذوف ووجود علامة الحذف... دلالة على ان المعني بهذه البرقيات غير معرف ومن ثم فان المفارقة تشتغل اشتغالا قويا من خلال المحذوف، فالمعلوم ان وجود البرقيات يحتم وجود مرسل اليه معروف ومحدد لتصل اليه البرقيات ولابد من وجود عنوان له، وغياب الاثنين: المرسل اليه وعنوانه دلالة اكيدة على ان البرقيات لن تصل وربما ستصل متأخرة كما اراد لها الشاعر بهذا العنوان المفارق لقوانين الطبيعة، فضلا عن أن برقيات وقد جاءت بصيغة الجمع للدلالة على العديد منها، وليست برقية واحدة، وتكرار وصول البرقيات متأخرة دلالة على حدوث خرق لقوانين الطبيعة التي تشير الى ان

البرقية لابد ان تصل بالسرعة الممكنة.

ثانيا: مفارقة المواقف والاحداث.

وتعني ((التفاوت بين القصد والنتيجة، ومثال ذلك عندما تكون نتيجة عملك تناقض المتوقع أو المطلوب، أي يحدث تعارض بين ما تتوقعه وبين ما يحدث، وتندرج فيها المفارقة الكونية؛ وهي التباين بين رغبات الإنسان والوقائع القاسية من العالم الخارجي.)) [24]، وقد عدها ناصر شبانه مفارقات زمنية كونها

انقلاب يحدث مع مرور الزمن[25]، ويمكن لنا ان نضيف الى انها مفارقة مكانية ايضا تشكل مع الزمن وحدة متكاملة لايمكن فصلهما، اذ ان الزمن مرتبط ارتباطا وثيقا بالمكان واي حدث او موقف يحدث في زمن معين لابد له ان يحدث في مكان معين ايضا.

يمثل الوطن الحياة والاستقرار والانتماء الا ان الحروب المتوالية عليه يحيله على الضد فيضطر الانسان الى الغربة بحثا عن ملاذ امن وربما يكون الاحساس بالغربة داخل الوطن اقسى وابشع، اذ تزول حرمة الوطن والبيت، عندها يقع التناقض بين الاقوال والافعال، وتصبح المتضادات هي المهيمنة على الفعل الانساني بين الخوف/ الامان، الحرية/ السجن / الحرب / السلم .

إن قصائد جارالله طافحة بالسخرية المرة وبالمفارقة التي لايمكن التغاضي عنها منذ الوهلة الأولى، ومفارقات الإنسان العراقي كثيرة ، والوطن بحد ذاته مفارقة هذا الزمن الساخر، يقول الشاعر:

((هذا الوطن
في كل صباح
نهديه الأشعار
والأشجار
والعصافير
ومع الليل
يرشقنا بالحطابين
والجراح.)) [26].

شكّل الوطن بالنسبة للإنسان هاجسا حقيقيا للانسان، فهو يمثل الانتماء والاحساس بالوجود لذا ارتبط الانسان به ارتباطا وثيقا فدافع عنه لأجل بقائه، فكان ضياع الوطن هو ضياع الانسان نفسه، والشاعر اكثر الناس تغنى بحب الوطن في قصائده فجعل منه رمز واسطورة وواقعا ومتخيلا واحساسا ،وكل ذلك ارتبط لديه بما يمثله الوطن في الواقع فـ ((وعي الشاعر بمعطيات الواقع، والتزامه بالتعبير عن قضايا وطنه وأمته، يكشف عن دفقات شعرية مكثفة ذات بعد إيحائي أحيانًا، ونبرة خطابية أحيانًا أخرى، لكنها في الحالتين تتجاوز التعبير عن البعد الفردي إلى التعبير عن البعد الإنساني)) [27]، واذا مابحثنا عن ملامح الوطن ووجوده فاننا نستطيع ان نقول إن ((حب الوطن يولد مع الإنسان، يعتبر أمرا فطريا ينشأ عليه الإنسان، فالوطن لم يكن يوما ارتباطا بالمكان فحسب بل كان شعور بانتماء، وتعلق بأهل، والتزام بتراب حضاري وعادات وتقاليد، إنّه باختصار هوية الإنسان وخصوصيته، فنظرا لمكانة

الوطن لدى الإنسان منذ أن ولد جعله الشاعر العربي أولى وأهم المواضيع المطروحة ضمن شعره.))[28] وهو ماحقق لديه معادلا موضوعيا يستحقه الوطن.

ثمة علاقة سلبية بين الإنسان والوطن تظهر واضحة وجلية في القصيدة، تقوم على فعل الإهداء المتبادل بينهما، وهذا الفعل يعتمد التضاد الزمني/ أساس الحكاية، والصراع بين قطبين مختلفين، فهناك النهار وفيه يتحرك الإنسان بفاعلية كبرى وبدلالات ايجابية، في مقابل الليل الذي يشكل ستارا للوطن بدلالاته السلبية، وهنا تكمن المفارقة، إذ يهدي الإنسان وطنه الأشعار والأشجار والعصافير في دلالة موحية ومكثفة بالمحبة والتمجيد والارتباط، فيما يرشق الوطن الإنسان بالحطابين والجراح دلالة على الجرح والالم والنيران التي تستعر بين جنبات الانسان، في حالة غير متكافئة بين ما يقدمه الانسان للوطن جهارا وفي النهار، وما يقدمه الوطن للإنسان خلسة في الليل.

إننا أمام تضاد واضح بين موقف الإنسان من الوطن، وموقف الوطن من الإنسان، وهو تضاد ترسمه طبيعة الموقف الذي ينصاع إليه الشاعر برغباته.

وتشكل الحكاية القطب الأهم قصيدة أخرى له إذ يقول:

((أوصاني جدي
أن أحب امرأة في كل عام
وأكون أمير العشاق
لكني منذ نعومة إظفاري
انشغلت بحب العراق .)) [29].

فثمة مفارقة زمنية تعود بالذاكرة إلى الوراء حيث وصايا الجد/ الرمز الماضي ترتبط بالحاضر الذي ترتبط دلالاته وتتجسد في الحفيد/ الرمز الحاضر الذي يشتغل في منطقة سردية أخرى لاتكترث بالوصايا التي تركها الجد في الماضي، إن النقطة السردية تتجه نحو مخزون ثقافي يسعى إلى استثمار حالة العشق الدائمة/ أن أحب امرأة كل عام، دلالة على الاستمرارية والديمومة التي تؤكد النزوة البشرية في عدم الاقتصار على امرأة واحدة وحالة العشق المتذبذبة في أعماق الإنسان عامة فكيف به إذا كان شاعرا؟!، الا أن الانشغال العاطفي لدى الحفيد/ الصورة المناقضة للجد يتجه نحو عشق ابدي آخر لايرتضي بالشراكة وهو عشق الوطن/ العراق.

تنطلق شعرية المفارقة من إحداث ردة فعل غير متوقعة تستند إلى طريقة التفكير التي ينطلق منها قطبي الحكاية الجد/ الحفيد، ففي الوقت الذي يدفع تفكير الجد إلى وضع حدٍّ فاصل وحاسم لوصيته في طريق العشق والغرام المرتبطة بالمرأة، فان تفكير الحفيد يقتصر على حب الوطن/ العراق وهو حب يشغل فؤاده بدلالة الفعل: انشغلت الذي يسيّره باتجاه صوفي ويقصره على حالة من الوجد والهيام

تعكس حالة من التضاد الفعلي الذي ارتبط بالمرأة، فحب امرأة لايعكس الصورة الوجدانية التي يريدها الشاعر ولا يعطي دلالتها سوى الفعل انشغلت .

وفي قصيدة أخرى يقول:

((بعد.. سبعين عاما
بعد..ذبول البرتقال
واللوز...
ونضوب (الكاز)..
وجفاف الغناء .
البلاد تذكرت نصيّف
فتملك من أرضها بامتياز
مترا ونصف المتر
في مقبرة الغرباء.)) [30].

تشكل حكاية (نصيف) إحدى الحكايات المأساوية، فهي صورة واحدة من ملايين الصور المتشابهة في وطن كالعراق، يشقى الإنسان ويتعب طوال الأعوام السبعين التي يقضيها في هذا الكد فلا يناله شئ من الوطن سوى متر ونصف متر هي كل ممتلكاته في مقبرة الغرباء.

على الرغم من أن البلاد تعاني ماتعانيه من نكبات ومصائب فإنها لاتنسى أولادها، بدليل أنها وبعد سبعين عاما تذكرت (نصيف)، وفعل التذكر هذا إنما هو ارتباط مسلح بين البلاد والذات الإنسانية التي تسكنها، وأنها وبعد أن حرمت (نصيف) من الكثير من ممكنات تواجده على الأرض فإنها منحت له ملكا لايستغنى عنه لكن في مقبرة الغرباء إذ استطاع (نصيف) أن يتملك مترا ونصف المتر في هذه المقبرة، وهذه هي مأساة الانسان أن يعيش حياته محروما من ابسط حقوقه ليحصل عليها في النهاية وبكل بساطة.

وترتبط المفارقة ارتباطا وثيقا بمامضى من حياة الشاعر، ففي قصيدة له يقول فيها:

((عندما كنت في السادسة
من رصيد العمر
علموني كتابة دار
دور
عندما صرت في

تنور السنين

...

رحت اكتب بالفحم:

الدار معروضة للبيع .)) [31].

تشتغل المفارقة هنا بأقصى طاقتها في دفع حالة الشاعر نحو السخرية المرة والتفجع المرّ بين الماضي/ عندما كنت في السادسة وبين الحاضر/ عندما صرت في تنور السنين، إن الذاكرة الحية المتوقدة تعقد مقارنتها بين هاتين اللحظتين الفاصلتين في الزمن وفي حياة الشاعر، وهي مرتبطة اشد الارتباط بالمكان والثقافة المكتسبة في الماضي/ علموني كتابة دار دور، والثقافة المجبرة على اكتسابها في الحاضر/ الدار معروضة للبيع.

هنا تكمن المفارقة ففي الوقت الذي يتعلم الطفل منذ السادسة كتابة دار دور، فإنه يجد نفسه أن ماتعلمه في الصغر مجبر على بيعه في الكبر إما بسبب الحاجة والعوز او بسبب الإبعاد والنفي وغيرها من الأسباب التي لم

تتوضح أبعادها في القصيدة التي جاءت مفعمة بالسخرية والمرارة .

ولعل تجاهل الشاعر لأسباب البيع وعدم ذكره إنما هو تأكيد للحدث/ المفارقة، ففيه تأكيد للمرارة وحالة المأساة التي يعيشها الإنسان، وذلك الصراع الذي يكبر ويتأزم مع مرور الوقت بين ماتعلمه في الصغر وماهو

مجبر على فعله في الكبر ليكتسب حياته وبقاءه في وطن اجبر على البقاء فيه والرضوخ لمتطلباته .

وفي قصيدة أخرى تسجل المفارقة ذروتها في توضيح العلاقة بين اثنين رجل/ شاعر وامرأة / موظفة ارتبطا فجأة وافترقا كل إلى غايته، يقول الشاعر:

((افترقنا .. بلا قلق

هي نحو قطار الوظيفة

وأنا ..حافيا

سرت نحو القصيدة

.....

والتقينا أمام المحاسب

لاستلام الرواتب

منحوها الدنانير

ومُنحت الكثير

من الحزن والورق !.)) [32].

وموقف الشاعر من المرأة لايحتاج الى توضيح، فاحدهما مكمل للآخر، ولكن حظ الشاعر هذه المرة من المرأة ليس كحظه من الأشياء الأخرى، لاسيما حينما يتعلق الأمر بأمراة لاترى في الوجود الا الماديات، هنا يكرس الشاعر هذه الحقيقة ليظهرها بمرارة ساخرة ومفارقة مرة ، يقول:

((حين رحلت سيدتي
وضعت في حقيبة قلبها
كل مافي المدينة:
الشوارع، والشجر، والأرصفة ،
والعمارات ، والكتب ، والعصافير والشعر ، والمطر...
الا أنا... تركتني خارج الحقيبة
مخافة أن يثقل حملها!!.)) [33].

ففي الوقت الذي يبحث فيه الشاعر عن الجزء المكمل وهو المرأة، فإنها لاتستقر على حال، إذ ترحل وتترك له الذكريات والأسى والمرارة وقد حملت معها كل مافي المدينة ، ولم تترك شيئا الا وحملته معها ووضعته في حقيبة قلبها دلالة على الاحتفاظ بكل ماهو موجود خارج كيان المرأة ومتعلق بها ماديا، أما الشئ الجوهري والأساسي في حياتها فلم تطقه وتركته خارج هذه الحقيبة لأنه في نظرها من الأشياء ثقيلة الحمل، إن حمل المرأة لكل تلك الأشياء ماهو الا احتفاء بها وحاجتها إليها، ربما جاء تعبيرا عن بحث المرأة عن مصلحتها وراحتها التي وجدتها في هذه الأشياء ، في حين أن وجود الرجل/ الشاعر في حياتها ماهو الا حمل ثقيل لاتقوى عليه لذا تركته خارج هذه الحقيبة ورحلت.

وإذا كانت المرأة / الحبيبة قد خذلته الى درجة أنها استرخصته ولم تعامله معاملة الأشياء التي حملتها معها، فإننا نجد في المرأة الأخرى / النقيض الآخر للمرأة السلبية الا وهي المرأة المعطاء/ الأم فهي رمز للوطن، تمنح

كل شئ في الوجود حقه، يقول الشاعر:

((قبلة واحدة من أمي..
على جبين الوطن..
أعادت إليه وجهه الجميل!
وارتضينا بالعيش في وطن جميل

لكنه أعرج!)) [34].

تتجه قصائد جارالله الى الوطن، ففي الوقت الذي يحتفي فيه الشاعر بالوطن ويعلن ولاءه له – بشكل او بآخر- يقف الوطن أمامه بموقف مناقض لما وقفه الأبناء، يعمل الأبناء مابوسعهم من اجل الاحتفاظ بوطن جميل، فتعيد الأم بقبلة واحدة الى الوطن وجهه الجميل، ومع هذا الجمال يبقى الوطن أعرج، وهذا العوق الذي يتصف به الوطن دلالة على أن الوطن لن يكون مكتملا مادام هناك – من أبنائه طبعا- من يزيفون هذا الجمال، إننا في هذا المقطع الشعري نقف عند حقيقة الوطن الذي باعه الساسة للأعداء فنبذوه، فيما تمسك الآخرون ممن ينتمون إليه انتماء حقيقيا ورضوا بالعيش فيه على الرغم من انه أعرج في دلالة موحية على العجز وعدم القدرة على العطاء؟!!

على أن إحساس الشاعر بالفجوة بينه وبين الوجود يزداد، ونحس بتلك النبرة الثائرة، المتمردة في قصائده على كل ماحوله، بسبب هذا التناقض الوجودي، وهذه المفارقة بين مايعيشه الانسان وما يعانيه وما اكتسبه طوال سني حياته، وهذا التناقض يدفع به الى أن يولي فكرة كتابة الوصية اهتماما كبيرا ولاسيما أن هذه الوصايا لاتخرج – بأي حال من الأحوال- عن أن تكون سببا في هذه الفجوة ، ففي إحدى قصائده يشير الى الحالة المأساوية التي وصل إليها الانسان بعد اختراع حمورابي للعجلة التي ظن حمورابي أنها مصدر راحة الانسان فإذا به – أي الانسان- يسحق تحت عجلاتها، يقول الشاعر:

((وصيتي لك
إن وجدت في يوم ما مسلة حمورابي
دون فيها ما ياتي:
انتم اخترعتم العجلة..
ونحن أحفادكم – انسحقنا تحتها..)) [35].

إن قصائد جارالله لاتخرج في دلالاتها ومعانيها عن الانتصار للإنسان وللوطن، ولا يبتعد عنهما، فهو في محاولاته الكتابية / الشعرية يعمل على ان يحقق ذاته وان يترك الاثر الذي يبتغيه في نفوس متلقيه ، لان الكتابة التي لاتترك اثرا فيهم انما هي كتابة قاصرة والفن الذي ((لاتنتجه ارادة حرة واعية مدركة لواقعها مخلصة لامتها ووطنها فن مقيت تذرع بالنوايا الطيبة وبالشعارات الجماهيرية))[36]، وجارالله جزء من هذا الواقع المزري الذي يعيشه وهو يرى مصرع الانسان بعينيه يوميا حتى في أيام العطل والأعياد، وربما كانت للصورة التشبيهية التي أقامها بين الطلبة والشهداء دلالاتها العميقة، ففي الوقت الذي يتغيب فيه الطلبة عن مدارسهم أيام الجمع والعطل والأعياد فأن الشهداء يواظبون على الدوام من دون انقطاع ويحرصون على التواجد الفعلي في كل مكان وفي هذا دلالة تأكيدية على استمرارية فعل القتل والهمجية

التي تمارس بحق الانسان العراقي، كما ان وجود الشهداء في المدارس دلالة على خلود اسمائهم وذكرهم بين الطلبة ، إذ يقول:

((في مدرسة العراق
يواظب الشهداء على الدوام والحضور
حتى في يوم الجمعة والأعياد)) [37].

إنها مفارقة الحياة العراقية أن تجد الموت يتسقط الجميع من دون استثناءات، في الوقت الذي يبحث فيه الانسان العراقي عن الحياة ويعيشها بالرغم من المآسي والصعاب كلها، وبالرغم من أن الموت حاضر في التفاصيل جميعها .

الهوامش والإحالات:

1. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، اعداد وتصنيف: يوسف الخياط، ، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، مادة (فرق).
2. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط2، دار العلم للملايين ، بيروت، 1984 ، 258.
3. رمزية الليل - جابر عصفور، مقال ضمن كتاب(نازك الملائكة – درا سات في الشعر والشاعرة)، نخبة من الأساتذة، إعداد : د .عبد الله المهنّا، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت،1984 ، 520.
4. المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مج: فصول، المجلد2، العدد:2، 143،1982-144.
5. م.ن ، ص.ن .
6. فن القص، نبيلة ابراهيم، د.ط، دار غريب، د.ت، 197.
7. المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانة، ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002 ،46.
8. المفارقة القرآنية، محمد العبد، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، 15.
9. المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، حسن عبد الجليل يوسف، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2001، 4.
10. المفارقة في شعر الرواد، قيس حمزة الخفاجيدار الارقم للطباعة والنشر، بغداد، 2007، 63.

11. درامية النص الشعري الحديث، علي قاسم الزبيدي، ط1، دار الزمان، دمشق- سوريا، 2009 323-324.
12. العلامة الشعرية- قراءات في تقانات القصيدة الجديدة، محمد صابر عبيد، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، 179 .
13. الصورة في شعر الرواد- دراسة في تشكلات الصورة، د. علياء سعدي، ط1، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2011، 244 .
14. فن القص، نبيلة ابراهيم، د.ط، دار غريب، د.ت، 197 .
15. أساليب السرد في الرواية العربية، صلاح فضل، ط1، دار المدى، سوريا، 2003، 32 .
16. المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، 17.
17. عن اللغة والأدب والنقد، محمد احمد العزب، د.ط، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، د.ت،342-343 .
18. درامية النص الشعري الحديث- دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، 301 .
19. نظرية المصطلح النقدي، عزت محمد جاد، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، 413-414.
20. المفارقة وصفاتها، د.سي ميوميك، تر: عبد الواحد اللؤلؤة، دار المأمون، بغداد، 1987، 47.
21. الشعر الحديث الى أين، غالي شكري، دار المعارف، مصر، د.ت، 179.
22. ينظر: المفارقة وصفاتها، 32.
23. جماليات المفارقة الشعرية عند محمود درويش، نوال بن صالح، رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، اشراف: أ.د صالح مفقودة، 2005-2006، 7.
24. اوراق فلسفية، مجموعة باحثين، تح: سعد البازعي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012، 23.
25. ينظر، المفارقة في الشعر العربي الحديث، 47.
26. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ،5.
27. تجليات الوطن والثورة في شعر كمال ناصر، ابراهيم نمر موسى، مج: دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، مج: 36، ع1، 2009، 26.
28. ثنائية المرأة والوطن في شعر محمود درويش، معزوزي سعاد- قوراري اكرام، شهادة ليسانس، كلية الاداب واللغات والفنون، جامعة الطاهر مولاي –سعيدة، 2016-2017، 7.
29. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ،6.

30. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ،13.
31. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ، 19.
32. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ، 25.
33. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ، 70 .
34. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ، 77.
35. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ،83 .
36. الغابة والفصول، طراد الكبيسي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1979، 150-151 .
37. إلى ...برقيات وصلت متأخرة ،102 .

2025 Al-Hamdaniya Journal of Humanities 1446
كلية التربية للعلوم الإنسانية
University of Al Hamdaniya
مجلة الحمدانية للعلوم الإنسانية